قراءة تحليلية في إسهامات الدكتور حمد القحطاني في الدرس الأدبي

بقلم الدكتور

محمد فتحي الأعصر

أستاذ الدراسات الأدبية والنقدية المساعد

بكلية التربية والآداب بتربة، جامعة الطائف

dr.elasar@gmail.com

مخطط بحث بعنوان:

(قراءة تحليلية في إسهامات الدكتور حمد القحطاني

في الدرس الأدبي)

- الملخص.
- المقدمة.
- تمهيد: وفيه نبذة من حياة الدكتور حمد القحطاني وثقافته.
- المبحث الأول: مؤلفاته المنشورة "عرض وتقييم".

  أولا: المديح في الشعر السعودي المعاصر.

  ثانيا: صورة الطفل في الشعر السعودي المعاصر.
- ثانيا: بحوثه العلمية المتخصصة "عرض وتقييم".

  أولا: المها حومل عند الشعراء دراسة تحليلية.

  ثانيا: البعد القومي في شعر فريز جرار.

  ثالثا: الأسلوبية في شعر أبي محجن الثقفي.

  رابعًا: المكان في شعر زاهر الألمعي.
- ثبت المصادر.

الملخص:

يسعى هذا البحثُ إلى إبراز اسهامات الناقد الأدبي الدكتور/ حمد القحطاني، في الدرس الأدبي، وخاصة الأدب السعودي المعاصر، وكشف منهجه في مؤلفاته وأبحاثه، وبيان أهميتها، وتحليل الآراء الواردة فيها ونقدها.

وقد شملت مؤلفاته وأبحاثه موضوعات مهمة لم تدرس في الغالب في ما يتعلق بالدراسات الأدبية بالمملكة العربية السعودية. ومن أعماله: كتاب "المديح في الشعر السعودي المعاصر"، وكتاب "صورة الطفل في الشعر السعودي المعاصر"، ومن أبحاثه " المكان في شعر زاهر الألمعي"، و" البعد القومي في شعر فريز جرار"، و"المها حومل عند الشعراء"، و"الأسلوبية في شعر أبي محجن الثقفي".

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان، علَّمه البيان، والصَّلاة والسَّلام على أفصح العرب لسانًا، وأصدقهم بيانًا، الذي أوتي جوامع الكلم، وفصل الخطاب...وبعد.

فإنَّ الدَّرس الأدبي المُعاصر يتمتع بميزات مهمة فيما يتعلق منها بالإبداع الأدبي، من حيث تنوعه، وتعدد مناهجه، واختلاف مذاهبه، وكثرة مشاربه، وتنوع تناوله، وتبيان اهتمامات أدبائه ونقاده.

وتُعد مثل هذه الدِّراسات زادا طيبا ونتاجا ثقافيا وأدبيا مهما، وذلك لما فيها من رؤى نقدية عميقة، ودراسات تحليلية رصينة لأغلب قضايا الفكر والأدب والنقد؛ وتجيء مؤلفات الدكتور حمد القحطاني وبحوثه ضمن الدراسات الأدبية الجديرة بالاهتمام والدراسة، وذلك لما تَتمتع به موضوعاته من فرادة في التناول والطرح.

ولهذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى تناول أعمال الدكتور حمد القحطاني في هذا الحقل، والوقوف على إسهاماته العلمية، والتعرض بالتحليل والتقييم للموضوعات الأدبية التي تناولها؛ خاصة تلكَ التي تعرضت للدرس الأدبي القديم والمعاصر.

كما تجدر الإشارة إلى أن أغلب دراساته تتمتع بدقة العرض، والتسلسل المنطقي الجيد في عرض المعلومة، ومناقشتها وتحليلها، والرؤية الثاقبة في استنباط الآراء واستخلاصها.

كما يُلاحظ أيضا أن المنهج التَّحليلي الوصفي قد تعلق بقلب الناقد وراود فكره، فقد طبَّقه على جُلّ دراساته الأدبيَّة تقريبا، ولم لا ؟! وهذا المنهج يجمع بين الملامح الموضوعية والفنية التي تبرز جماليات النَّص الأدبي.

ولذا قد راود فكري أهمية دراسة مؤلفاته وبحوثه الأدبية وتقييمها؛ لتكون فرصة سانحة لتقديمها للمتلقي العادي، والمتلقي الناقد، ليقف على طبيعتها، وفائدتها؛ ولتكون فرصة أخرى لكشف النقاب عن إسهامات هذا الناقد الشَّاب الذي يستحق الثناء والتشجيع بفضل محاولته المخلصة في إثراء هذا الحقل.

ويعد هذا البحث أيضًا أول بحثٍ يُكْتبُ عن إسهامات هذا الناقد الألمعي، وإسهامات في هذا الدرس الأدبي، وقد غدا نجمه ساطعا في الأفق لما تميز به من سلاسة الأسلوب، ورصانته، ودقة اختياره لمفرداته، وعمق آرائه النقدية، وأحكامه التطبيقية، وتنوع موضوعاته البحثية وأهميتها، فتعد بحوثه زادا لكل رائم معرفة.

وقد انتظمت هذه الدِّراسة، بعد مقدمتها، في تمهيد ومبحثين، تتكشَّف من خلالهما حياة النَّاقد ومراحل نشأته والعوامل المؤثرة في تكوينه العلمي، يليها التطرق لإسهاماته العلمية في حقل الدراسات الأدبية، وتقييمها، وتتمثل هذه العناصر في المحاور الآتية:

- تمهيد: وفيه نبذة من حياة الدكتور حمد القحطاني وثقافته.
- المبحث الأول: مؤلفاته المنشورة عرض وتقييم.

أولا: المديح في الشعر السعودي المعاصر.

ثانيا: صورة الطفل في الشعر السعودي المعاصر.

- ثانيا: بحوثه العلمية المتخصصة.

أولا: المها حومل عند الشعراء دراسة تحليلية.

ثانيا: البعد القومي في شعر فريز جرار.

ثالثا: الأسلوبية في شعر أبي محجن الثقفي.

رابعًا: المكان في شعر زاهر الألمعي.

- ثبت المصادر.

الكلمات المفتاحية: الدراسات الأدبية، حمد القحطاني، الشعر السعودي المعاصر، المديح، الطفل، المكان، زاهر الألمعي، البعد القومي، المها حومل، فريزا جرار، الأسلوبية.

وأرجو من المولى عز وجل سبحانه أن ينال هذا البحث المتواضع القبول، وإن كان من توفيق فبفضل الله تعالى ومنِّه، وإلا فحسبي أني اجتهدت، وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تأليف

د. محمد فتحي عبدالفتاح الأعصر

كلية التربية والآدب بتربة-جامعة الطائف

dr.elasar@gmail.com

تمهيد:

نبذة من حياة الدكتور/ حمد القحطاني وثقافته:

ولد الأستاذ الدكتور حمد فهد محمد جنبان الخنفري القحطاني بقرية القرارة والمبرز بحصاة قحطان في نجد بالمملكة العربية السعودية، وأتم تعليمه بقريته، وتدرج في مراحل التعليم المختلفة، حتى التحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، فتعلم علوم البيان واللغة والقرآن الكريم، وحصل على البكالوريوس انتظاما فيها.

وأهلته موهبته الأدبية وشغفه بتحصيل العلوم العربية للتقدم للابتعاث ضمن برنامج خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز- رحمه الله- للحصول على درجة الماجستير؛ فحصل عليها بتقدير "ممتاز" من كلية الآداب، في جامعة مؤته بالمملكة الأردنية الهاشمية. وتابع دراسته ليحصل على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، بتقدير "مرتبة الشرف الأول"، من كلية الآداب، بجامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية، ضمن برنامج خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز- رحمه الله- ابتعاثا، فعين على إثرها أستاذا مساعدا بقسم اللغة العربية، بكلية التربية والآداب، جامعة الطائف، فرع تربة. وأكمل بعد ذلك بحوثه العلمية ليترقى إلى درجة أستاذ مشارك في الدراسات الأدبية والنقدية في عام ١٤٣٧هـ.

كما شغل عدة مناصب إدارية كثيرة من أهمها: عمل مديرًا لوحدة التوجيه والإرشاد الأكاديمي بكلية التربية والآداب بتربة، جامعة الطائف في الفترة ١٤٣٥هـ إلى ١٤٣٧هـ. ومنسق نادي الطائف الأدبي بمحافظة تربة البقوم. إلى جانب رئاسته لقسم اللغة العربية بكلية التربية والآداب بتربة، فرعة جامعة الطائف، لبضع سنوات تخللها عمل شاق، وجهد دؤوب من أجل النُّهوض بقسم

اللغة العربية بالكلية، وقد تكلل هذا النشاط الملموس من قبل قيادات الجامعة إلى تكليفه بوكالة الكلية للجودة والتطوير في عام١٤٣٧هـ.

وله نشاط أدبي وعلمي مميز، فقد عمل عضوا عاملا، ومحكما فاحصا لما يقدم من بحوث علمية في مجال الدراسات الأدبية والنقدية في الكثير من المنتديات والنوادي، والمحافل الأدبية، والمجلات العلمية، ومن هذه العضويات عمله كعضو بـ: رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ونادي الطائف الأدبي، وجائزة الدكتور راشد الراجح للتفوق العلمي والخلقي بمحافظة تربة.

وللدكتور حمد القحطاني العديد من المؤلفات الأدبية والنقدية والإبداعية المنشورة، ومنها في مجال القصصي، والصحفي: لوامع على شاطئ الغربة، ونظم القوافي لابن وافي.

وفي مجال الدراسات الأدبية والنقدية له من الكتب المطبوعة: الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن سعد الدبل، والمديح في الشعر السعودي المعاصر دراسة موضوعية فنية، وصورة الطفل في الشعر السعودي المعاصر.

ومن بحوثه العلمية المحكمة والمنشورة في المجلات العلمية: صورة الطفل الفنية في الشعر السعودي المعاصر، والمكان في شعر "زاهر الألمعي" دراسة في جماليات المكان، وإبداع الدلالة، ودراسة أسلوبية في شعر أبي محجن الثقفي، والبعد القومي في شعر مأمون فريز جرار. وثنائيات الزمان والمكان في الشعر السعودي، والأنا والآخر في ديوان "امسح دموعك" لعبد الحميد العمري، والمها في "حومل" عند الشعراء.

كما شارك الدكتور حمد القحطاني في الكثير من المؤتمرات والندوات والفعاليات العلمية والأدبية والثقافية التي تسهم في بناء المجتمع، وتعطي دفعة قوية لحراك علمي وثقافي واجتماعي للنهوض بالوطن. ويضاف إلى ذلك

نشاطاته في الإشراف على الدورات التدريبية والندوات الأدبية التي تعقد بنادي الطائف الأدبي بمحافظة الطائف.

كذلك حصل الدكتور حمد القحطاني على جوائز أدبية وشهادات علمية متنوعة، منها: شهادة تقدير وشكر من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل مستشار خادم الحرمين الشريفين أمير منطقة مكة المكرمة، للمشاركة وإنجاح فعاليات سوق عكاظ في دورته التاسعة عام ١٤٣٦هـ، وشهادة تقدير وشكر من صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبد الله بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة، للمشاركة وإنجاح فعاليات سوق عكاظ في دورته الثامنة. وشهادة شكر من محافظ تربة على الجهود المثمرة في المشاركة باحتفالية اليوم الوطني الرابع والثمانين بالمحافظة، وشهادة شكر وتقدير من نادي الطائف الأدبي لإسهامه في إنجاح فعاليات النادي بتربة.

ويتبين لنا من خلال هذا العرض لسيرته أنها حافلة بالمنجز العلمي والأكاديمي والريادة في النشاط الاجتماعي الذي يُحتذى به واتباعه من قِبَل شبابنا ونقادنا العرب للاحتذاء به خلقا وعلما وعملا ونشاطا. وفيما يلي نتطرق بالعرض والتقييم، والتحليل لبعض إسهاماته في حقل الدراسات الأدبية.

المبحث الأول: مؤلفاته المنشورة في مجال الدراسات الأدبية "عرض وتقييم"

أولا: كتاب (المديح في الشعر السعودي المعاصر، دراسة موضوعية فنية)[١].

يتناول هذا الكتاب موضوع المديح باعتباره غرضا مهما حظي باهتمام الشعراء قديما وحديثا، وكان اهتمام الشعراء السُّعوديين بهذا الغرض أكثر من الاهتمام بأي غرض شعريّ آخر، تجلى هذا الاهتمام منذ تأسيس الدولة السَّعودية الموحدة على يد الآباء المؤسسين-رحمهم الله- حتى الملك سلمان – حفظه الله- راعي نهضتها الحالية.

ومعروف أن غرض المديح لون تقليدي قديم ضارب بجذوره في الآداب العربية منذ امرئ القيس إلى وقتنا هذا، له خصائصه وسماته الفنية التي تميزه عن غيره من الألوان الشِّعرية الأخرى.

ومن المعروف أن المديح تعددت أنماطه، فهناك المديح الديني، وفيه المديح النبوي ومديح الصحابة والخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين وغيرهم. ومديح الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والوزراء، وقادة الجند، ومن في زمرتهم. ومديح العُلماء والمشايخ والأدباء والفقهاء ونحوهم. ومديح الأصدقاء والرفاق والندماء ومن في خاصتهم. ومديح الأماكن أو الأمكنة، وهي متعددة فمنها: مديح الأمكنة الدينية التي تتمتع بقدسية خاصة في نفوس المسلمين، كالمساجد: المسجد الحرام بمكة، والمسجد

(١) نشر بالرياض، بمكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

النبوي بالمدينة المنورة، والمسجد الأقصى بفلسطين. ومديح المدن التي تمتع برمزية دينية خاصة لدى العرب والمسلمين كمكة المكرمة، والمدينة المنورة، وفلسطين. ومديح المدن العربية المختلفة وخاصة عواصمها: مصر والشام والحجاز...وغيرها. وأيضا مديح الأمكنة والمناطق الأثرية التي أدت دورا مهمًا في التاريخ الإسلامي...إلخ.

فجاء هذا الكتاب مكونًا من تمهيدٍ ومقدمةٍ وثلاثة أبواب، وكل باب ينقسم إلى عدة فصول؛ فأما الباب الأول: فيتحدث عن موضوعات شعر المديح السعودي، والثاني: يدرس الخصائص الفنية لهذا الغرض عند شعراء المملكة.

وقدم المؤلف لكتابه بمقدمة بيَّن فيها تطور الشعر في المملكة وخاصة في الفترة التي أعقبت توحدها وبداية نهضتها على يد ملوك بني سعود– حفظهم الله، والأسباب التي دفعت لازدهار الِّشعر.

وقد أرجع المؤلف بدايات التطور الشعري في المملكة إلى غرض المديح دون سواه، متكئًا في حجته هذه إلى أن ديواني ابن عثيمين وابن بليهد جاء أغلبهما في المدح، ومن المعروف أن ابن عثيمين وابن بليهد من معاصري تأسيس الدولة السَّعودية الحديثة.

ثم تطرق للحديث في مقدمته عن الأسباب التي دفعته لدراسة هذه الظاهرة في الشعر السُّعودي المعاصر، والمنهج الذي اعتمد عليه في دراسته، وهو المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل النص الشعري.

وذكر في مقدمته أغلب الدراسات الرئيسة التي اعتمد عليها، وذكر خطة دراسته وقسمها وفق رؤيته للموضوع.

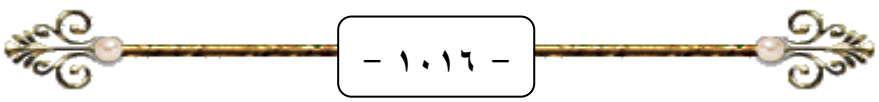

أمّا التمهيد: فقد أشار فيه إلى أهمية المديح، ودوره في الحياة الإنسانية، وقسمه إلى أنماط. ثم انتقل لتعريف المديح عند منظري اللغة والاصطلاح، وفرق بينه وبين الرثاء.

وتطرق لرصد العوامل التي قام عليها المديح، إضافة لاستطراده في عرض نماذج مختاره من روائع شعر المديح عبر العصور الأدبية المختلفة، واصفا هذه العوامل بأنها جاءت لأجل رفع القيم الإنسانية سواء فردية أم جماعية، إعظامًا وإجلالًا بالممدوح، وتقديرا لمكانته، وابتعادًا عن المبالغات والنفاق والتزلفات الكاذبة، شريطة عدم التكسب وطلب المال الذي يؤدي إلى دناءة النفس، وخاصة إذا توصل إلى الخاصة وعامة الناس، وما يقبله الشاعر من ممدوحه بدون طلب لا يعد هذا إلا مكافأة وردّا للجميل(٢).

ثم انتقل للحديث عن المديح في الشعر العربي القديم، مستشهدا ببعض النماذج الشعرية من الأدب العربي القديم إلى وقت الدراسة. مستخلصا بنتيجة مهمة، وهي أن المدائح قد توالت منذ العصر الجاهلي حتى هذا العصر، فلا يخلو عصر إلا وجد فيه شعراء مداحون، وهناك من انساق وراء التكسب وطلب المال، وهناك من كان المديح لديه بوازع الإعظام والصدق والإخلاص والوفاء.. وأن عصر المديح قد ارتقى إلى قمة الإبداع(٣).

---

(٢) المديح في الشعر السعودي المعاصر، ص٣٨

(٣) السابق نفسه، ٥٠.

وبعد ذلك تناول المديح في الشعر السعودي عارضا للدراسات السابقة التي تناولته أو لمسته من قريب أو بعيد. وتحدث عن العوامل التي أدت إلى نهضته، والهدف من وراء المدح.

وختم هذا التمهيد بعرض ملامح من نشأة المملكة العربية السعودية الموحدة وبداياتها الأولى على يد مؤسسي نهضتها الحديثة من بني سعود، ومن له الحظ الوافر منهم في المديح.

ثم انتقل المؤلف للباب الأول من دراسته الموضوعية، فقسمه إلى خمسة فصول، خصص الأول منها لدراسة المدائح النبوية في الشعر السعودي المعاصر، وأبرز دور الشعراء في مدح النبي- صلى الله عليه وسلم- سواء في ذكرى مولده، أو صفاته وأخلاقه، أو زواجه،، أو نزول الوحي عليه، وموقف عمه أبي طالب منه، وبداية دعوته للإسلام، وهجرته، ومعجزاته، ورحلته صلى الله عليه وسلم في نصرة هذا الدين وإعلاء كلمته، وقد أفاض شعراؤنا في ذلك وأبلوا بلاء حسنا.

ويرى المؤلف أن المدائح النبوية من أبرز جوانب المديح التي تعرض لها شعراء المملكة؛ إذ لا تخلو قصائد شاعر من مديح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سواءٌ بقصيدة كاملة أو بيت أو بيتين من قصائده، إلا قليلا من الشعراء، وهذا ما يراه بشكل ظاهر(٤).

ويعلل المؤلف سبب هذا الظهور اللافت للمديح النبوي في القصيدة السعودية المعاصرة إلى غلبة الوازع الديني على المجتمع

(٤) السابق نفسه، ص٧٦.

السعودي، أو ربما يكون السبب الرئيس في ذلك قادة هذه البلاد التي شرفها الله بالحرمين الشريفين، إذ يعد الحرمان الشريفان الركيزة الأساسية في المدائح النبوية، من جانبين: الأول: مولد الرسول – صلى الله عليه وسلم– في إحداهما وهجرته إلى الأخرى، والثاني: إقامة بعض هؤلاء الشعراء في هذين الحرمين أو العمل بهما، ومرور الآخرين بهما لأداء مناسك الحج والعمرة؛ وذلك ليُسر الوصول إليهما، مما يؤدي إلى إثارة قرائحهم بالمديح النبوي(٥).

وذكر سببا آخر يضاف للأسباب الأخرى، وهو ما تتعرض إليه بعض البلدان والمجتمعات الإسلامية من الحوادث والنكبات، التي تجعل الشعراء السعوديين يتذكرون سيرة أشرف الخلق– صلى الله عليه وسلم(٦).

وتناول في الفصل الثاني الحديث عن مدح الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والقادة والأبطال، رضوان الله عليهم جميعا، وبَيَّنَ سبب ذلك بالنسبة للشُّعراء، وهو أخذ القدوة الحسنة والعلم والجهد والصبر والمثابرة وتقويم الدين والشجاعة وخوض المعارك، من أجل خدمة الدين الإسلامي؛ لأنهم أحياء بأفعالهم وذكرهم الدؤوب بين أتباعهم، في محاولة من الشعراء للاقتداء بهم واتباع نهجهم لتخليد ذكراهم في التاريخ.

والفصل الثالث تعرض فيه لمدح ملوك بني سعود وأمرائها وأحفادها بكونهم موحديها ومؤسسيها، والقائمين على أمرها ونهضتها في عصرنا

---

(٥) السابق نفسه، ص٧٦.

(٦) السابق نفسه، ص٧٦.

المعاصر، وعلى رأسهم جلالة الملك الموحد عبدالعزيز- رحمه الله، والأبناء من بعده، وأشقائه وجميع أبناء الأسرة الحاكمة، باعتبارهم إحدى الركائز المهمة التي قامت عليها هذه الدراسة.

ويبدو أن الملك عبدالعزيز- رحمه الله- بفتوحاته وثقافته وحلمه، وكرمه وسخائه؛ حاز مديح جُلّ شعراء المملكة لعوامل كثيرة بَيّنَها المؤلف في عدة عوامل منها: بطولته الفذة في توحيد الجزيرة، التي لهج الشُّعراء بذكرها، وتغنوا بفضلها، إضافة إلى طول عهده الذي قارب الثلاثين عامًا بعد توحيد البلاد، كذلك حبه للشعر واهتزازه له، ولا سيما وهو يراه عضادة للدعوة، ودعوة للدولة، والدولة بحاجة إلى الألسنة المنافحة، التي تشيد بأبطالها ورجالها.

واشتمل هذا الفصل أيضا على مديح الشعراء السعوديين لرؤساء الدول العربية والإسلامية، وقادتها وملوكها. وكان سبب إيراد مدحهم في دراسته من وجهة نظر المؤلف أنه يخدم الدين ويقوي روابط الإخوة بين العرب والمسلمين التي أمر به ديننا الإسلامي؛ لذلك جاء مديحهم بحسب رأي المؤلف مدفوعا بالوازع الديني والخدمة الوطنية الخالصة، وقد جاء أغلبه في مناسبات؛ سواء زيارات أو مؤتمرات أو اتفاقيات أو ما شابه ذلك(٧).

وخصّ الفصل الرّابع بمدح العلماء والأدباء والأعيان والوجهاء، ومنْ لهم صلة أو منزلة في قلوب ولاة الأمر، وعامة الشَّعب الذي يقوم

(٧) السابق نفسه، ص٣٤٥.

على حبهم. ولذا حدد المؤلف المنهج العام في مدح الشعراء للعلماء؛ بأنه يرتكز على الارتباط بالمديح الديني والتقى ونهج طريق الصلاح، والخوف من الله والخشية منه، والتذلل والخضوع له، والوقوف في وجه الملحدين وأهل الطواف، وكل ما يتعلق بإظهار الارتباط الديني لهم وتمسكهم بالشريعة الإسلامية الغراء، إضافة لمدحهم بالصفات التقليدية المتبعة والتي تختلف من عالم إلى أخر كالكرم والجود، والزهد، والورع...إلخ(٨).

وبالنسبة لمدح الشعراء للأدباء والمفكرين، فلم يكن الأمر قاصرا على مدح الأدباء السعوديين فقط بل تجاوز الأمر إلى مدح الأدباء في أقطار العالم العربي، وقد ركز شعراء المملكة في مدحهم للأدباء على ما يعرفون به من صفات، وما اشتهر عنهم، وعلى رأسهم الإبداع الأدبي بشتى أنواعه(٩).

وبالنسبة لمدح الوجهاء وكبار الأعيان، فقد جاء مدحهم كما يرى المؤلف من باب الصداقة أو من باب تحفيزهم لفعل الخير مما يعد دافعا معنويا للتقدم والإنجاز(١٠).

وخصص المؤلف الفصل الخامس بالحديث عن مدح الأصدقاء والزملاء والأقارب، ويرى المؤلف غلبة الصدق والمحبة على هذا النوع من المديح.

---

(٨) السابق نفسه، ص٣٧٦.

(٩) السابق نفسه، ص٣٨٤.

(١٠) السابق نفسه، ص٣٨٥.

أما الباب الثاني: فقد خصَّه المؤلف بالدراسة الفنية موزعة على أربعة فصول، تناول في الفصل الأول: بناء القصيدة، والأسس التي تقوم عليها من مقدمات وتخلص وموضوع وخاتمة، وأشار إلى ما يميز القصيدة المدحية من تنوع في الموضوع، ولمس التطور الذي طرأ عليها في المملكة منذ– خروجها من طور التقليد والتبعية إلى طور التجديد والتطور، بعرض جيد، وأسلوب رائق، يحسب له.

وناقش في الفصل الثاني مفهوم التناص وتاريخه وتطوره، ورصد الدراسات السابقة التي تناولت التناص أو توظيف التراث في الشعر السعودي، وعرضها عرضا جيدا باختصار، وأبان عن مدى ارتباطها بمحل دراسته، وقد وفق في هذا.

وبحث في تناص شعراء المديح السعودي فوجدهم أكثر توظيفا للتناص المباشر مع التاريخ والدين والأدب، إضافة للتناص غير المباشر.

وعرض في الفصل الثالث للصورة الفنية في شعر المديح، موضحا مكانتها في الشعر وأهميتها، ورصد تعريفها لدى النقاد، واستنتج تعريفا لها فحددها بقوله: "الصورة هي إبداع فني لتركيب لغوي يقوم على الخيال، مستمدا ذلك من التشبيه، أو الاستعارة أو الرمز أو التجسيد أو المحسوسات، ولا يمكن إغفال الصور النفسية والعقلية، وتوصيل التجربة الشعرية إلى الآخر"(١١).

(١١) السابق نفسه، ص٥٢٠.

وعرض لأنماط الصورة الحسية فوجدها تتمركز في المُحَسَّات الخمسة: البصرية الضوئية، واللونية، والحركية، والثابتة، والصورة السمعية، والشمية، واللمسية، والذوقية.

وختم المؤلف هذا الفصل باستنتاج عام بدا له من خلال دراسته وهو "أن الصورة في غرض المديح عند الشاعر السعودي تسير على النهج نفسه الذي يتكئ عليه في الأغراض الأخرى، وبهذا لم يتجاوز الشعر العربي في الأقطار العربية المجاورة، بل سار على النهج نفسه ولم نجد ثَمَّ تجديدًا"(١٢).

وينهي المؤلف دراسته بالفصل الخامس عن المحسنات البديعية في شعر المديح السعودي المعاصر، مبرزا أنواعها، فهناك محسنات معنوية، ويندرج تحتها: الطباق والمقابلة، والإرصاد، وتأكيد المدح بما يشبه الذم والاطراد، والمبالغة. والنوع الآخر المحسنات اللفظية، ويندرج تحتها: الجناس، ورد العجز على الصدر، والتصريع، والترصيع؛ إضافة لظاهرة مهمة تكررت بصورة لافتة وهي "كم الخبرية" التعددية. وختم دراسته بخاتمة رصد خلالها أهم النتائج التي توصل إليها.

تعقيب على كتاب (المديح في الشعر السعودي المعاصر)

يأتي هذا الكتاب ليضع لبنة مهمة في حقل الدراسات الأدبية في المملكة العربية السعودية تضاف إلى غيرها، بكونه يعد من أوائل الدراسات

(١٢) السابق نفسه، ص٥٨٩.

التي خصصت لدراسة فن المديح في الشعر السعودي المعاصر بأنواعه، فأبانت عن خصائصه وكشفت عن جمالياته.

ويُحمد للمؤلف أنه في كثير من مواطن البحث كان يدلي برأيه، يوافق ويعترض، ويعد هذا من محاسن المؤلف الناقد، ومثال ذلك تعريفه لفن المديح –بعد أن عرض لمجمل التعريفات– بقوله: هو"نزعة داخلية تنشأ مع الإنسان بالفطرة، وتنساب في دمه جارية بعروقه، فتخفق مع كل نبضة من نبضات قلبه وروحه، وهو تعبير عن شعور تجاه فرد من الأفراد؛ لأجل ذكر محاسنه وفضائله، ومناقبه ومآثره، وما له من مزايا ترفعه عن غيره، ويعرف بها، وكل ذلك ثناء عليه وإكبارًا له، وإعجابًا بما فيه من الصفات الجميلة والاعتراف بفضله"(١٣). والشواهد على ذلك كثيرة في ثنايا الكتاب، وقد ذكرت بعضها في هذا البحث الموجز، فأفصحت عن آراء المؤلف النقدية في كثير من المواضع.

وأيضا من محاسن هذا الكتاب أنه يقدم رؤية جديدة للمديح في الشعر السعودي المعاصر، هذه الرؤية القائمة على التحليل والوصف والتفسير، والباب الثاني الذي يتحدث فيه المؤلف عن الدراسة الفنية والجمالية لشعر المدح السعودي جدير بالثناء؛ وقد قدم فيه الباحث جهدا عظيما من التحليل الجيد.

ولكن هناك بعض الملاحظات العامة:

---

(١٣) السابق نفسه، ص٣٢.

- يلاحظ أن المؤلف لديه حب استطراد في كتابه فبدءًا من التمهيد الذي تجاوز أكثر من سبعين صفحة تقريبا، وهي بلا شك غير محببة في البحث العلمي، وكان يكفيه ثلاثون صفحة فقط بالدخول مباشرة في موضوع المدح في المملكة العربية السعودية بدون الحاجة لاستطراد معروف أغلبه لدى المتلقي.
- يبدو أن المؤلف لا يسير على خطى ثابتة في منهجه العلمي في سائر دراسته فأحيانا يطيل عندما يحب الإطالة، وأحيانا أخرى يقصر عندما يحب ذلك دون رابط أو ضابط، وخير شاهد على ذلك الفصل الثالث من دراسته الخاص بمدح ملوك بني سعود وأمرائهم وأحفادهم، وقادة الدول العربية وغيرها، فنجد مفارقة عجيبة، وازدواجية مقلقة في دراسته هذه في كثرة صفحاته التي فاقت معظم الفصول الأخرى مجمعة، وأيضا ازدواجية أخرى في الفصل الثالث نفسه وذلك في كثرة الصفحات حول شخصية من الشخصيات، ودراسة أخرى على استحياء منه في بضع صفحات قلائل.

ومثال ذلك فقد بلغ عدد صفحات الفصل الأول في المدائح النبوية حوالي (٥٠) صفحة تقريبا أي من ص٧٦ إلى ص١٢٤. وجاء الفصل الثاني في(٣٤) صفحة أي من ص١٢٥ إلى ص١٥٨. أما الفصل الثالث والخاص بمدح الملوك والأمراء وقادة الدول العربية، فقد حاز أغلب صفحات كتابه، فقد وصلت عدد صفحاته إلى(١٩٩) صفحة تقريبا، لكن جاء أغلبها في مدح ملوك الدولة السعودية وأمرائها وأبنائهم وأحفادهم، فأكثر من ثلثي هذا الفصل في مدحهم- أي من ص١٥٩ إلى ص٣٤٤- ثم جاء مدح ملوك وقادة العرب والدول

الإسلامية على استحياء في دراسة المؤلف؛ فلم أجد مبررا لذلك؟!! ولم أجد جوابا مقنعا أو شافيا من الباحث أو إشارة لذلك؟! والسؤال المطروح هنا: ألم يقف الباحث على أشعار كثيرة في مدح قادة الدول ورؤسائها وملوكها؟! أم أنه كان متعجلا في إنهاء بحثه؟! أم أنّه استشعر الإطالة في هذا الفصل عامة؟!

ولعل هذا بسبب وفرة الشعر محل الدراسة في باب مدح ملوك السعودية وأمرائها أكثر من غيره، وهذا أمر طبيعي جدا.

- كذلك يغلب على المؤلف إطلاق الأحكام العامة في بعض المواضع مثال ذلك في الفصل الخاص بمدح الشُّعراء لكبار رجال الدولة والمسؤولين، ومن في زمرتهم، يقول: "معللا في وازع الشعراء تجاه مدح هذه الشخصيات، بأنه كان قائما على الإخلاص، وحسن أداء العمل بأمانة، والتطوير المتتالي، من قبل هذه الشخصيات، وسداد الرأي، وكل ذلك مراعاة لله ثم لولي المملكة العربية السعودية، وخدمة الشعب"(١٤).

فهذا الرأي المطلق يجافي الحقيقة، فبعض الشعراء ينطبق عليهم ما قاله المؤلف، والبعض الآخر يمدح من أجل نوال العطاء، والتقرب من ذوي السلطان، ابتغاء مصالحهم.

- الملاحظة الأخيرة هي أن المؤلف غفل تماما عن ذكر مدح الأمكنة، فأعرض عنها تماما!! ولا أدري سببا لهذا التجاهل!! رغم أن المملكة العربية السعودية تتمتع بخصوصية دينية عن سائر البلدان الأخرى،

---

(١٤) السابق نفسه.

فتتمتع معظم مدن المملكة، كمكة المكرمة بمناطقها وآثارها التاريخية والدينية والتراثية بقدسية خاصة في قلوب المسلمين جميعا، ففيها الأماكن المقدسة كالمسجد الحرام، والصفا والمروة، وجبل عرفات، وغار حراء، والكعبة المشرفة، وماء زمزم...وغيرها من الأماكن ذات الرموز الدينية؛ وكذلك المدينة المنورة وفيها المسجد النبوي الشريف، والعقيق...وغيرها من الأماكن الدينية المحببة لقلوب الناس بصفة عامة والشعراء بصفة خاصة. فهذه الأمكنة قد حركت مشاعر الشعراء وألهبت عواطفهم، فوثبوا مادحين تلك الأمكنة ذات القداسة والمنزلة الخاصة لدى عموم المسلمين، كغيرهم من شعراء البلدان الأخرى.

***

ثانيا - كتاب (صورة الطفل في الشعر السعودي المعاصر)[١٥]:

يُعد هذا الكتاب من الكُتب المهمة في المملكة العربية السعودية التي فتحت آفاقا أرحب في مجال الدراسات والبحوث الأدبية المتعلقة بأدب الطفل السعودي المعاصر خاصة والعربي عامة.

وترجع أهمية هذا الكتاب كما ذكر المؤلف في مقدمة كتابه إلى شقين أو محورين مهمين، الأول: كون الدين الإسلامي اهتم بالطفل، وجعل له أهمية عالية، وهذا ما جَعَلَهُ يكتب عنه دراسة مستقلة متخصصة، والثاني: أن الطفل في الشعر السعودي لم يحظ بدراسة مستقلة، إلا لماما في صورة مقالات لا ترقى لدراسة علمية حقيقية[١٦].

وكان سبب اختياره لهذا الموضوع تحديدا هو شدة حبه للطفل، الذي شكل النواة الأولى للملكة العربية السعودية، وإيمانا منه بالمستقبل المشرق بالعلم والمعرفة، والوفاء والإخلاص، ووجود الحب والعاطفة التي تربط بين الدين والوطن كما تربط بين الطفل والحياة[١٧].

إذن يتبين لنا أن سبب اهتمام المؤلف بتأليف هذا الكتاب يرجع لوازع ديني حي في وجدانه، وحبه للطفل كما لمسنا ذلك من إهدائه لأطفاله فلذة كبده خاصة، والأطفال عامة، ولعل مولد ابنه "فهد" وهو الطفل

---

(١٥) نشر بالرياض، بمكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

(١٦) صورة الطفل في الشعر السعودي المعاصر: د. حمد فهد جنبان، ٦.

(١٧) السابق نفسه.

الأول له هو الذي دفعه لكتابة هذه الدراسة، مما جعل التطبع يطغى في الكتابة على بعض الجوانب(١٨).

والسبب الآخر يرجع إلى أن المؤلف لم يقف على كتاب مستقل أو دراسة متخصصة في أدب الطفل السعودي، فرأى قصورا في هذا الجانب المهم من قبل الباحثين والدارسين السعوديين، فكان هذا دافعا له بالقيام بهذه المهمة كواجب ديني ووطني، وعلمي يفرض عليه القيام بدراسة مستقلة تتناول أدب الطفل السعودي المعاصر.

فكان دافعه من تأليفه هو محاولة التعرف على صورة الطفل تنظيرا وتطبيقا، ومحاولة معرفة ما قدمه الشعراء تجاه الطفل في جميع الجوانب المتعلقة به.

وقد اعتمد المؤلف في دراسته على المنهج التحليلي الوصفي، ومعروف أن المنهج التحليلي الوصفي يحظى بالقبول الواسع لدى الأوساط الأدبية لما فيه مرونة في تناول النص الأدبي وإبراز جمالياته والوقوف على خصائصه، وعرض موضوعاته.

وقد قسم المؤلف كتابه إلى تمهيدٍ، ومبحثين، وخاتمة أبرز فيها أهم النتائج التي توصل إليها.

أما التمهيد، فقد حدد فيه المقصود بالطفل عند علماء اللغة والاصطلاح، وفي التراث الديني "القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف"، وتناول بشيء من التفصيل حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية.

---

(١٨) السابق نفسه.

والملاحظ في هذه الجزئية تحديدا أن المؤلف اعتمد على بعض المراجع غير الأصيلة في بابها، فتساهل في الحصول على المعلومات، ويا حبذا لو اعتمد على المصادر الأصيلة الخاصة بكتب الشريعة الإسلامية والسنة النبوية، بدلا من النقل والأخذ من باحث أو كاتب معاصر.

والملاحظ أيضا في هذه الجزئية الخاصة بالتمهيد تحديدا كثرة نقوله واقتباساته دون أعمال الفكر والنقد البناء لما يَنقل من مصادر ومراجع.

أما المبحث الأول، فقد عرض فيه المؤلف للموضوعات المتعلقة بصورة الطفل لدى جل الشعراء السعوديين، وقسمه إلى عدة محاور كما يلي:

الأول: عن استقبال المولود والفرح والابتهاج بقدومه، فاستشهد ببعض النصوص الشعرية التي تكشف عن كيفية استقبال المولود الجديد والفرح والسرور بقدومهم وخاصة لدى الشعراء.

والثاني: يعرض لتسمية المولود، وحقوق المولود في اختيار الأسماء الحسنة له، وتجنب الأسماء المكروهة، ذاكراً بعض النماذج الشعرية التي تشير إلى أهمية التسمية الحسنة، وضرورة الاختيار الموفق.

والثالث: عن الحب والعطف من قبل الآباء لأطفالهم، وقد تناول بعض الشعراء السعوديين جانبا من العطف والحب لأطفالهم في قصائدهم، مستشهدا المؤلف بعدد لا بأس به من النصوص الشعرية.

والرابع: يتحدث عن الشوق وذكريات الآباء لمواقف أبنائهم في طفولتهم من لعب وكليمات وهمهمات، ومواقف أخرى طريفة محفورة في ذاكرته لا

تنسى، تتجدد باستمرارية كلما كبر أبناؤهم، فاستشهد المؤلف ببعض النصوص الشعرية الدالة على شوق الآباء لأبنائهم وحنين ذكرياتهم.

والخامس: النصح والإرشاد، ويعرض المؤلف فيه لنصح الآباء لأبنائهم وتوجيههم.

والسادس: يتناول فيه المؤلف دعاء الآباء لأبنائهم، وارتباط هذا الدعاء بالتراث الديني الإسلامي. وقد رأى المؤلف من خلال استعراضه لبعض النصوص الشعرية المتعلقة بالدعاء، أن الآباء عندما يدعون لأبنائهم فإن الدعاء يجمع أو يربط بين الدنيا والآخرة، وقد وفق المؤلف في هذه الملاحظة الجديرة بالذكر.

والسابع: يبرز الطموح والتفاؤل لدى الأبناء، ويعرض فيه المؤلف جانبا من تناول الشعراء لهذه الميزة متمنين لأبنائهم مستقبلا واعدًا.

والثامن: يتناول فيه المؤلف الحديث عن صور براءة الأطفال، في عيون الشعراء وطريقة وصفهم لهذه الخصيصة، مستشهدا بروائع الشعر السعودي.

والتاسع: يتحدث فيه عن مشاكسة الطفل، وما عرف عنهم بكثرة الحركة والتنقل واللعب.

ويرى المؤلف أن الطفل الذي لا تتوافر فيه هذه الصفات ربما يكون ناقص النمو، أو به خلل في بناء قوامه الجسمي أو العقلي. وأتفق مع الدكتور حمد في هذه الملاحظة المهمة التي ارتآها.

والعاشر: يتحدث فيه المؤلف عن صورة اللعب عند الأطفال.

والملاحظ أن المحور التاسع يتفق بعض الشيء مع هذا المحور. فيا حبذا

لو دمج المؤلف هذين المحورين، ليكونا بعنوان " مشاكسات الأطفال ولعبهم".

أما الحادي عشر والأخير: فيتحدث فيه المؤلف عن فن مهم من فنون الأدب العربي، وهو فن الرثاء، عرض فيه الشاعر لرثاء الشعراء لأطفالهم وحزنهم عليهم.

أما المبحث الثاني من الكتاب فيتعلق بالدراسة الفنية، وفيه عدة محاور، الأول: تحدث فيه عن ظاهرة التكرار باعتبارها ظاهرة بارزة في صورة الطفل عند الأدباء السعوديين.

ولكنه يرى أن نازك الملائكة أكثر من عبر عن وظيفة التكرار الفنية، مستشهدا برأيها(١٩). دون ذكر منه لأسباب هذا الاتفاق في الرأي.

ويسرد المؤلف كثيرا من النصوص الشعرية التي يؤيد بها حجته على بروز التكرار في صورة الطفل عند الشاعر السعودي.

ويخلص من هذا المحور إلى تنوع السمات الأسلوبية لوظيفة التكرار لدى الشعراء من تكرار الحرف، أو الجملة الأسمية والفعلية، أو تكرار كلمة، أو شبه جملة، أو شطر، أو تقسيم كبداية المقطع نهايته، مما يؤدي إلى عمق الأسلوب، وتوظيف التكرار لأجل مقاصد فنية عميقة كما يرى ذلك(٢٠).

---

(١٩) صورة الطفل في الشعر السعودي: د. حمد فهد، ٥٥.

(٢٠) السابق نفسه، ٦٦.

ثانيًا: يتناول فيه المؤلف الحديث عن الأسلوب في بناء الصورة، وقد عرض فيه لبعض النقاط المهمة، كظاهرة التشخيص وقام بتعريفها والتطبيق عليها من خلال بعض النصوص الشعرية.

وتحدث المؤلف عن ظاهرة التجسيد وعرفها بكونها تضفي الطابع الحسي على المعنويات، واستشهد بعدد من الأبيات الشعرية لشعراء مختلفين.

وتطرق للحديث عن ظاهرة التجريد، فقام بتعريفها. ولكنه لم يوفها حقها، فلم يعرض لنماذج شعرية كافية للتطبيق على تلك الظاهرة، حيث اكتفى بنموذجين شعريين لشاعر واحد. ربما لندرتها في شعر أدب الأطفال أو لصعوبة الحصول على الدواوين الشعرية.

والنقطة الأخرى التي تعرض لها هي "أنماط الصورة الشعرية" في دراسته، فقسمها إلى أربع صور، صورة بصرية، وصورة حسية، وصورة ذوقية، وصورة شمية. مستشهدا بعدد لا بأس به على الصور الأربع.

وفي نهاية دراسته أشار للصورة الحركية والجامدة، والصورة المفردة والكلية، فقام بتعريف كل صورة على حدة مع الاستشهاد بالنماذج الشعرية لشعراء مختلفين، وإن كان المؤلف حقيقة لا يختلف أو يتفق مع بعض النقول التي يوردها في دراسته، ولا يوضح في بعض الأحيان سبب هذا الاتفاق.

وآخر شيء تأتي الخاتمة ليعرض فيها المؤلف خلاصة ما توصل إليه. ولكن الخاتمة جاءت تقليدية في نتائجها عبارة عن سرد لأقوال أو رؤى ذكرها في ثنايا دراسته. وكان الأولى أن يذكر فيها أهم النتائج التي توصل إليها لينير الطريق لغيره من الباحثين الجدد المهتمين بهذا المجال.

ولكن مع ذلك فإن تلك الملاحظات لا تقلل من قيمة هذا الكتاب وجدواه وأثره الطيب لدى الدارسين، باعتباره فتحا جديدا لدراسات أدب الطفل، ولفت انتباه الباحثين للاهتمام بأدب الطفل السعودي خاصة والعربي عامة.

المبحث الثاني: البحوث العلمية المتخصصة.

أولا: بحث (المها في حومل عند الشعراء)[٢١].

لعل من حسن الطالع أن نجد هذه الدراسة المهمة الصادرة عن النادي الأدبي بجدة إذ قدم فيها المؤلف دراسة تحليلية للمها- والمها نوع من البقر الوحشي- في منطقة حومل- ومنطقة حومل حددها الباحث تحديدا جغرافيا ميدانيا- عند الشعراء القدامى، حيث اهتم الشعراء منذ العصر الجاهلي بالوقوف على الديار والبكاء على الأطلال، ووصف الرحلة والناقة، وما يصاحبهما من تقلبات البيئة القاسية؛ مما أدى ذلك إلى ثنائية التشابك والترابط بينهما.

وقد اعتمد المؤلف في دراسته على هذا النوع من الصيد (البقرة الوحشية- الثور الوحشي) الذي يرتبط بحومل، ذلكم المكان الذي غدا رمزا مرتبطًا بالبقرة الوحشية، وكأنْ لا مكان لها غيره، والعكس.

كما أشار المؤلف للدلالات الشعرية التي استخدمها الشعراء في أشعارهم وتوظيفهم لبقر الحومل في صورهم الشعرية والفنية.

---

(٢١) نشر بجدة، ضمن إصدارات النادي الأدبي الثقافي، بمجلة جذور "مجلة فصلية علمية محكمة"، العدد ٤٣، رجب ١٤٣٧هـ -إبريل ٢٠١٦م.

وتصدى المؤلف بفكره ويراعه لتحليل المها التي ألهمت الشُّعراء، وعلاقة ذلك بمنطقة حومل تحديدا، وفعالية ذلكم الارتباط المقدس بينهما؛ ولذلك جاء بحثه منتظمًا في مقدمة أو توطئة ساق فيها الدافعَ الذي استحثَّهُ على تأليف هذا البحث، والملامح الرئيسة التي بنى عليها بحثه، والغاية التي سعى إليها من تأليف هذا البحث.

أما التمهيد، فقد حاول فيه المؤلف تحديد لفظة "حومل" ومعرفة أسمائها وصفاتها ومواضعها، مستخلصا من هذا التحديد معرفة المكان الجغرافي الحالي لها، وذلك من خلال مصادر التراث العربي الأدبي والتاريخي وأُمَّات كتب اللغة عن طريق الوقوف على الواقع الجغرافي الحالي، من خلال الزيارات الميدانية الحقيقية للوقوف على هذا الأثر، وطبيعته. ودلف الباحث إلى دراسته بالحديث عن الثَّوْر والبقرة الوحشية مفرقا بينهما، ومستخلصًا من ذلك أن البقرة الوحشية قد سيقتْ مذكرا ومؤنثا، كبيرا وصغيرا، بالتصريح والترميز اسما ووصفا، مجازا وحقيقة، وقد يَذْكر أحيانا عضوا من أعضائه أو صفة من صفاته. وقد وجد المؤلف أن اسم البقرة الوحشية لم يعد موجودا عند أهل الجزيرة العربية، فقد تلاشى واندثر، وأبدل باسم الوضيحي، أما اسم المها فلازم الوضيحي والبقرة الوحشية، فأصبح الأصل مع امتداد القرون منذ العصر الجاهلي. وتناول المؤلف في بحثه الإشارة إلى رمزية الثور في الحضارات القديمة، ورأى أن الثور الوحشي تميز بقداسة دينية عند كثير من الحضارات القديمة؛ فقد اتخذ رموزا كثيرة ومسميات عدة عند السومريين، والعرب الكنعانيين، والعبرانيين، والمصريين، وغيرهم. وأردف المؤلف الحديث عن عبقرية المكان من خلال "حومل" لدى الشعراء بين الحقيقة والخيال، فرأى أنَّ حومل تارة تكون حقيقة واقعة، وذلك باكتشاف أجزاء جديدة من الأمكنة من خلال الطبيعة الصامتة مثل التلعات والأجماد والرمال والهضاب وغيرها، بالإضافة إلى كثير من النباتات أمثال الأرطي والغضي، وتارة أخرى تكون متخيلة مع المكان الحقيقي، وتمثل ذلك في بكاء الشعراء على الأطلال وتشبيههم المها بالمحبوبة والناقة، كما أبرزت وصف الرحلة حقائق وأجزاء

من "حومل" الحقيقة عند الشعراء. وفي هذا الصدد استشهد المؤلف ببعض النماذج الشعرية لشعراء مختلفين. وانتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن القصة الشعرية واعتماد الشعراء على البناء الدرامي القصصي في حديثهم عن البقرة الوحشية أو الثور الوحشي، من خلال عناصر البناء الدرامي التي تتمثل في الصراع والشخوص الذين تمثلوا في البقرة والصيد والصائد، وكلاب الصيد والسباع، والمكان المتمثل في حومل وأجزائه، مع الاستشهاد بالنماذج الشعرية، واستنتج المؤلف أنّ القصة الشعرية برزتْ فيها صورة ولد البقرة الذي شبه به الشعراء المحبوبة في جماله ولطفه ولعبه. ورأى أيضا أن سرعة البقرة الوحشية حينما تفزع وتخاف من القناص الذي أردى ولدها، تشبيه استعاره الشعراء للإشارة لسرعة الراحلة عندهم بحالة هذه البقرة.

وختم المؤلف بحثه بتفصيل الحديث عن صراع المها، وكلاب الصيد والسباع، وعدَّد هذا الصراع، ودعمه بالنصوص الشعرية، فتارة نراه صراعًا بين البقرة الوحشية أو الثور وبين الصائد والسباع، وتارة بين البقرة الوحشية والثور من أجل التزاوج.

وقد خرج المؤلف بنتائج مهمة ارتآها حول هذا الصراع، منها:

- القوة البارزة في الثور والبقرة الوحشية والمتمثلة في القرنين اللذين يشبهان الرماح، والشجاعة، ومعرفة إدارة المعركة من كر وفر، وشدة التحمل وقوة البأس.

– القوة المعنوية المتمثلة في الثور والبقرة، وذلك في الطراد بالكلاب للابتعاد بها عن سهام الصائد، والتي أثبتت قوة الحدس، وحذر هذا النوع من الصيد، كما يظهر عطفها ورقتها في عدة مواضع.

– رمزت هذه القصص للموت والفناء وطلب الأمان والبقاء أحيانا كثيرة.

– وثق هذا الصراع الكثير من الأماكن وحافظ على أسمائها بحدودها الجغرافية وبيئتها المناخية، وعكس هذا ذكريات الصيد التي خلت لعقود من الزمن.

– رمز هذا المكان إلى روح العربي وخيالاته وأسلوبه القصصي الذي ارتبط بروح الصيد، كما رمزت "حومل" إلى الأهل في أي مكان كان، كما بدا عند شعراء العصر الأموي وغيرهم.

تعقيب على بحث (المها في حومل عند الشعراء)

عرض المؤلف محاور بحثه في ترتيب منطقي جميل، حيث كشف النقاب عن أصول لفظة "حومل" في كتب اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا، ووقف على تحولات البقرة الوحشية وأبرز أسمائها وصفاتها وخصائصها. وأتبع ذلك بالحديث عن قصة البقرة الوحشية في الشعر، وصراعها مع الطبيعة بإنسانها وحيوانها، ورمزية هذه القصص والصراعات.

ولكن هناك ملاحظات على هذا البحث، وهي:

أن الباحث اختار عنوانا لبحثه وهو "المها في حومل عند الشعراء" تاركا تساؤلات كثيرة عن أيٍّ من الشعراء اختار دراستهم؟! وعن أيِّ عصرٍ يقصد؟! وهل الباحث سيقوم بدراسة جميع العصور الأدبية بدءًا من العصر الجاهلي حتى العصر العثماني؟! أم أنه سيقوم بدراسة المها عند عددٍ من الشعراء سيحددهم في مقدمته، أو عصر من العصور سيذكره في ثنايا بحثه.

ولكن ما وجدناه أن الباحث أَعْرَضَ عن ذكر أيّ شيء من ذلك !! فلم يهتم بهذا التحديد؟! ولا أدري أهذا عن قصد!! أم ألجأته إليه العجلة في الانتهاء من بحثه، فوقع في هذا المزلق الخطير؟!

وكان الأولى به طبقا للمنهجية العلمية الدقيقة أن يحدد موضوع بحثه بدقة شديدة، فيتناول ظاهرة من الظواهر لدى شاعر ما تستحق البحث والدراسة، أو مجموعة محددة من الشعراء، أو يدرس ظاهرة أو قضية من القضايا الأدبية في عصر أدبي من العصور، أو فترة معينة من تاريخنا الأدبي المجيد، ولكن هذا ما لم يحدث.

ومن خلال قراءتي لهذا البحث والوقوف على الشواهد الشعرية التي استشهد بها الباحث وجدت أن أغلب هذه الشواهد لا تتجاوز العصر الأموي.

ويا حبذا لو قصر الباحث بحثه على أيّ من شعراء العصر الجاهلي، أو صدر الإسلام، أو العصر الأموي فقط، والشواهد الشعرية على ذلك كثيرة، حتى يخرج بنتائج أدق في بحثه.

كذلك لم يعرض المؤلف للدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع بحثه، وأعتقد أنها كثيرة، إلا أنه لم يفعل!! كما فعل في معظم دراساته الأخرى.

ومع تلك الهنات القليلة في البحث، فإنَّه يعدُّ من البحوث المفيدة في حقل الدراسات الأدبية؛ لأنه كشف مدى العلاقة الوثيقة بين الشعراء وذاك النوع من الصيد، وأزاح النقاب عن أماكن جديدة لم تعرف من قبل، من خلال استعراضه نماذج شعرية قديمة، إضافة إلى وقوفه على أطلال تلاشت مسمياتها واندثرت بفعل الزمن، وكانت من قبل محل اهتمام الشعراء وهيامهم.

ومن طيبات هذا البحث أيضًا أنه ينير الطريق أمام الباحثين لدراسات تالية تتعلق بأنواع أخرى من الحيوانات كانت محل اهتمام الشعراء من قبل كالظباء وغيرها، وحجم هذه العلاقة وفعاليتها في تصوراتهم الشعرية.

***

ثانيا: بحث (البعد القومي في شعر فريز جرار)[٢٢].

يتناول هذا البحث البعد القومي في شعر الشاعر الفلسطيني مأمون فريز جرار باعتباره ملمحا مهما شكل معظم نتاجه الشعري، وبدت بصماته واضحة عبر تجربته الشعرية. فبدأه المؤلف بمقدمة أبرز فيها أهمية القضية الفلسطينية لدى جموع الشعراء العرب عموما، والشعراء الفلسطينيين خصوصا.

وأتبعها بتمهيد عرض فيه نبذة مختصرة من مراحل حياة الشاعر الفلسطيني مأمون فريز جرار، وحياته العلمية والتعليمية، وأسفاره ورحلاته. وأشار لأشعاره وعرض لدواوينه الشعرية وأشار إلى أن موضوعات دواوينه قومية سياسية، حيث تناول فيها الشاعر قضايا الأمة العربية، وقضايا بلاده فلسطين خاصة، وذكر منها ديوانه "القدس تصرخ"، و"قصائد للفجر الآتي"، و"مشاهد من عالم القهر"، و"رسالة الشهداء".

ووقف المؤلف عند مفهوم القومية في شعر فريز جرار، وارتأى أن أكثر شعره يعبر عن القضايا القومية، سياسية ووطنية، لأنه أراد التعبير عن أحزانه، ومعالجة قضاياه، من خلال دعوته للتوحد والتلاحم من أجل دحر العدو الصهيوني، ذاكرا أن الابتعاد عن طاعة الله أدت إلى هذا

---

(٢٢) نشر في القاهرة، بجامعة عين شمس، حوليات كلية الآداب، المجلد ٤٣، جزء(أ)، أبريل– يونية ٢٠١٥م.

التفرق والانقسام الذي جعل العربي يعيش تحت سقف من الذل والهوان(٢٣).

ثم سلط المؤلف الضوء على القضايا القومية التي تناولها الشاعر في شعره، فتكلم عن مأساة فلسطين، وما تبعها من أحداث ونكبات، والعدوان الإسرائيلي على لبنان واحتلال جزء من أراضيه، ومجزرة صبرا وشاتيلا، وثورات الجزائر من أجل تحرير الأرض والعرض، كل هذه المحن والنكبات والثورات كان لها أثرها الكبير في نفوس الشعراء.

وتحدث المؤلف عن أبعاد الصراع في تعبير الشاعر عن القضايا القومية من خلال نغمة التشاؤم والتفاؤل، حيث برز الحاضر من خلال معجم الشعري السوداوي المتمثل في التشاؤم واليأس والانهزام والضعف والحزن والذل والبعد عن الله، والأمل في المستقبل المتمثل في الاستهداء بأخطاء الماضي من خلال المعجم الشعري الذي يعبر عن التفاؤل والأمل والشجاعة والتضحية والاستشهاد وقوة الايمان، وكذب الغرب وخداعه. فرصد المؤلف الموقف الوطني للشاعر من خلال معجمه الشعري.

تعقيب على بحث (البعد القومي في شعر مأمون جرار):

يعد هذا البحث من الأهمية بمكان باعتباره أول دراسة مستقلة تتناول شعر مأمون، فبرز الحس الوطني والسياسي لديه في الدفاع عن قضايا العالم العربي والإسلامي ضد الغزاة والأعداء، وذلك من خلال

(٢٣) البعد القومي في شعر فريز جرار، ص ١٧.

اعتماده على المنهج الوصفي التحليلي في دراسته لكشف تلك الظاهرة وتحليلها.

ويحمد للمؤلف في دراسته هذه عن البعد القومي في شعر مأمون أنه فتح الطريق أمام الباحثين والدارسين لدراسة باقي الجوانب الأخرى في شعره، والوقوف على الخصائص الفنية له. ونلمس من خلال ذلك كله بروز شخصية المؤلف في ثنايا بحثه.

***

ثالثا: بحث (دراسة أسلوبية في شعر أبي محجن الثقفي)[٢٤].

هذه الدراسة من الدراسات المهمة التي تناولت شعر أبي محجن الثقفي، وقد جمع فيها المؤلف بين المنهج النقدي المعاصر وبين الشعر القديم، فأحسن وأصاب في مواضع عدة. فبدأ المؤلف بحثه بمقدمة (توطئة) عن الدراسات الأسلوبية وأهميتها بين المناهج النقدية المعاصرة في تحليل النص الأدبي القديم والحديث، وقد ختم مقدمته بتساؤل ستتكشف الإجابة عنه من خلال دراسته، عن أسلوب أبي محجن الثقفي، وهل كان مقلا في شعره كما زعم أبو هلال العسكري وبعض الدارسين، أو أن شعره اندثر وضاع؟.

وأتَبِعَ المُقَدِّمَةَ بتمهيدٍ تناولَ فيه التعريف بالشاعر، والدارسات السابقة التي تناولت شعره، وأشار لمفهوم الأسلوب والأسلوبية وعلاقته باللغة والأدب من خلال مصادرنا اللغوية والأدبية والبلاغية.

وفي اللغة وجد أن معنى الأسلوب يدور حول الطريقة أو الطريق الممتد والوجه والمذهب[٢٥].

وقد فرق المؤلف بين الأسلوب والأسلوبية، وأشار إلى تعدد وجهات النظر عند الدراسين في تحديد التعريف الاصطلاحي لعلم الأسلوب،

---

(٢٤) بحث منشور بمؤتمر النقد الدولي الخامس عشر من ٢٨-٣٠ يوليو ٢٠١٥م بالأردن، بعنوان: "اللغوي والأدبي والنقدي العربي في الآداب العالمية"، إعداد وتحرير د. رسلان بني ياسين ود. موسى ريابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمَّان، ط١، ٢٠١٦م.

(٢٥) السابق نفسه، ص٣٤٨.

ما بين القدماء والمحدثين، وما بين اتجاهات كل علم من علوم البلاغة والنقد، فيرى أن كل كاتب يخضع للآراء التي تمثلها مدرسته، والمرجعية التي يتزود منها، ولكنها من وجهة نظره تدور كلها في إطار علمي واحد يمكن أن تدرج تحت تعريفين منفصلين، الأول: من خلال تطور العصور، وهو ما يعرف حديثا بالأسلوبية، وهي منهج نقدي حديث يعتمد على الطريقة اللفظية التي يستخدمها الكاتب في تحليل النصوص يقوم على اللغة والأسلوب من إيقاع وتراكيب ودلالة، وظيفته كشف الظواهر الجمالية(٢٦). أما الثاني: فهو تعريف الأسلوب الذي امتدت منه الأسلوبية كمنهج، فرأى في تعريفها بأنها الطريقة التعبيرية عند الكاتب لاختيار الألفاظ والعبارات التي يقوم بها لسمات لغوية وفنية وأدبية بغرض التعبير عن موقف معين يتخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التأثير، ولا بد لها من الأثر المرجعي عند المستقبل سواء كان سماعًا أو قراءةً من خلال حمله على الانتباه أو الاستجابة العاطفية(٢٧).

مستنتجا من كلا التعريفين أنهما يتفقان في طريقة اللفظ عند الكاتب، والتعبير اللغوي والأسلوبي(٢٨).

ثم اشتملت الدراسة الأسلوبية – لديوان أبي محجن الثقفي– بعد التمهيد على ثلاثة محاور وخاتمة.

---

(٢٦) السابق نفسه، ص٣٥١.

(٢٧) السابق نفسه، ص٣٥٢.

(٢٨) السابق نفسه، ص٣٥٢.

فأما المحور الأول: فتناول فيه مستوى التركيب، وما آلت إليه من أساليب الإنشاء كالاستفهام والنهي والأمر والتمني والنداء، ووقوع الخبر موقع الإنشاء، والأساليب الخبرية، وما خرجت إليه من أغراض بلاغية ذات دلالات متنوعة عن معناها الأصلي. مع استعراض نماذج شعرية لأبي محجن الثقفي لكل ثيمة من ثيماته الأسلوبية.

والمحور الثاني: تناول فيه دراسة المستوى الدلالي فكشف من خلاله عن أسلوب الشاعر في بناء الصورة التي تشكلت من لغة العبارة وفي خيال الشاعر الذي رسم لنا بنية القصيدة تحت أفكارٍ ومعانٍ تتبلور في ذهن المتلقي، وذلك في تصوير إبداعي له أثر مغاير عند المبدع والمتلقي، ولعل من أهم هذه الصور التشبيه والاستعارة والكناية. مع الاهتمام المؤلف بإيراد النماذج الشعرية.

أما المحور الثالث: فبدأه المؤلف بدراسة المستوى الصوتي، وأدرج تحته أنواع الموسيقى: كالموسيقى الخارجية المتمثلة في الوزن والقافية، والموسيقى الداخلية المتمثلة في التكرار والمقابلة ورد العجز على الصدر، وغيرها من الأنماط الإيقاعية غير الثابتة. وتأتي خاتمة البحث وفيها أهم النتائج التي توصل إليها المؤلف.

تعقيب على بحث (الأسلوبية في شعر أبي محجن الثقفي):

يبدو لي من قراءتي لهذا البحث أن المؤلف قد جمع في بحثه بين المنهج النقدي المعاصر والنص الأدبي القديم فقام بتطبيق أدوات هذا المنهج وآلياته، فنجح في إبراز جماليات النص عند أبي محجن الثقفي، والكشف عن جوانبه الفنية، فاستطاع استقراء ما به من خصوصيات دلالية وجمالية، معتمدا في ذلك على لغة الشاعر وأدواته الفنية.

***

رابعاً: بحث (المكان في شعر زاهر الألمعي

دراسة في جماليات المكان وإبداع الدلالة)[٢٩].

تناول المؤلف في هذا البحث أثر المكان وخصوصيته وجماليات توظيفه ودوره الفاعل في بناء قصائد زاهر الألمعي ودواوينه، وأثر هذا المكان في استجلاء الرؤية العامة لدى الشاعر دلالة ونهجًا.

ولذلك اشتملت دراسته على مقدمة(توطئة) تحدث فيها عن أهمية المكان وأثره لدى الشعراء العرب عامة، والشاعر خاصة، والمنهج الذي اعتمد عليه في سائر دراسته، وهو المنهج الوصفي الذي يعتمد على الرصد والتحليل والتفسير من خلال دواوين الشاعر الكثيرة منها: (الألمعيات، نفحات الصبا، أسمار الوطن، نزيف الشهداء، على درب الجهاد، مراثي الألمعي).

أما التمهيد فقد وُضِع تحت مسمى (بين الدواوين) تحدث فيه عن نسبة ورود المكان بين دواوين الشاعر زاهر الألمعي التي تراوحت بين الكثرة والقلة، فكان أغلبها في ثلاثة دواوين، هما: (الألمعيات، ومن نفحات الصبا، وأسمار الوطن)، لكنه أقام دراسته بصفة رئيسة على ديوانيه (الألمعيات، ونفحات الصبا) لِمَا لهما من علاقة خاصة لدى الشاعر ترتبط بمرحلة شبابه ونشأته، تجلت هذه العلاقة عبر مكانية عناوين القصائد، وصور أغلفة الديوانين. وقد نوع المؤلف في نماذجه الشعرية في بحثه.

---

(٢٩) نشر في القاهرة، جامعة المنوفية، مجلة كلية الآداب، عدد يوليو، ٢٠١٤م.

ثم قسم المؤلف بحثه إلى عدة محاور بدون ترقيم لها، تحدث في الأول: عن أنواع المكان في شعر زاهر الألمعي، فبدا لديه أن المكان قد تمثل في: المكان الواقعي، والمكان المتخيل، والجمع بين الاثنين أو الثنائية بين كونه واقعيا ومتخيلا(٣٠).

وبالنسبة للمكان الواقعي يجد المؤلف أن زاهر الألمعي اعتمد على الواقعية في رسم المكان، وذلك في حديثه عن مشاركة المكان في الأحداث والاختزال، والدلالة المعرفية(٣١).

أما المكان المتخيل فقد عنى فيه المؤلف بالمتخيل الذي نشأ من الواقع، وليس المتخيل الذي ليس له علاقة بالواقع، لأن الشاعر اعتمد في الدلالة المكانية على الخيال كي يضفي جمالا خياليا على التصوير الكلي أو الجزئي في رسم المكان الذي يتخيله، ويتمنى في دخيلته تحققه رغم ممانعة الواقع لذلك(٣٢).

وكشف المؤلف عن ظاهرة ثنائية الجمع بين المكان المتخيل والواقعي في شعر زاهر الألمعي، ولاحظ المؤلف وجود هذه الظاهرة في حديث الشاعر عن الصحراء ورموزها من الحدائق التي تختلط رائحة ازهارها بأصوات بلابلها الجميلة، وقد تميز الشاعر بالتعبير عن مشاعره بهذا الوصف الذي أصبح رمزا يعكس مرحلة باكرة من طفولته وما

---

(٣٠) انظر المكان في شعر زاهر الألمعي، ص٦.

(٣١) السابق نفسه، ص٨.

(٣٢) السابق نفسه، ص١٣.

يصاحبها من براءة وجمال. لذلك برز في شعره احتضانه للصحراء وجمالها ولو احتوته المدينة بقصورها الوارفة واحتضنته أنواع حضارتها(٣٣).

والثاني: انتقل المؤلف فيه للحديث عن وظائف المكان في شعر الشاعر، فقسمها إلى وظيفة معرفية، ووظيفة سياقية قائمة على الرمز والاختزال، ووظيفة ثالثة باعتبار المكان شاهدا على الحدث.

فبالنسبة للوظيفة المعرفية يرى المؤلف أنها من أهم الدلالات المكانية التي سار عليها الألمعي في تناوله المكان، وذلك من خلال استقصائه ومحاولة رسم خريطة للمكان والتعريف به، متبعا في ذلك منهج الجاهليين كعبيد بن الأبرص وغيره(٣٤). مستشهدا في ذلك بنماذج شعرية من شعره.

أما الوظيفة السياقية، فقد أشار المؤلف إلى أنها احتوت في الحديث عن المكان عند الألمعي على ثلاثة جوانب، الأول: الرمز إذ اتخذ وظيفة سياقية عبر بها عن المراد من المعنى. والثاني: الاختزال وهو أحد الوظائف التي تناولها الشاعر للتعبير عن المكان. والثالث: اتخاذ المكان مسرحا وشاهدا على الحدث وحركا له(٣٥).

---

(٣٣) السابق نفسه، ص١٨.

(٣٤) السابق نفسه، ص٢٩.

(٣٥) السابق نفسه، ص٣٤.

والثالث والأخير: تناول فيه المؤلف الملامح الفنية في شعر المكان لدى الشاعر، فقسمها إلى الرمز بالمرأة للمكان، والتكرار، والموازنة، والمفارقة.

وختم بحثه بخاتمة أبرز فيها عددا من النتائج والتوصيات التي رصدها في بحثه وخرج بها.

تعقيب على بحث (المكان في شعر زاهر الألمعي):

يتميز هذا البحث بتناوله لظاهرة شائعة في الشعر السعودي، خصّ منها شعر "زاهر الألمعي" وهي فاعلية المكان وخصوصيته عبر دواوينه الشعرية المتعددة، وهذا ما يميز البحث.

لكن هناك ملاحظة على البحث منها:

أن المؤلف عندما أشار في عنوان بحثه أنه سيتناول ظاهرة المكان في شعر الألمعي عامة بدون تخصيص لدراسة أحد دواوينه؛ إلا أنه حدد ثلاثة دواوين شعرية للشاعر يبدو فيها حضور المكان طاغيا، وهي (الألمعيات، ومن نفحات الصبا، أسمار الوطن)، ومع هذا التحديد إلا أنه اعتمد فقط على الديوانين الأولين في دراسته، وهما "الألمعيات، ومن نفحات الصبا"، مستبعدا الديوان الثالث من دراسته، ولا أدري سببا مقنعا ذكره المؤلف لهذا الاستبعاد؟!!، سوى ما يراه المؤلف أن ديوان "أسمار الوطن"، يحتاج إلى دراسة مستقلة من خلال ما ظهر من عناوين القصائد في رسم المكان ودلالته الجمالية من الصورة الكلية أو الجزئية، إضافة إلى الدلالة المعرفية.

وكان الأولى بالمؤلف ألا يترك هذا الديوان المهم الذي يمثل فاعلية المكان في شعر زاهر الألمعي خير تمثيل، فيا حبذا لو خص هذا الديوان ببحث مستقل يوضح فيه خصوصية المكان ودلالته. أو كشف لنا عن أثر المكان في كل ديوان من دواوين الشَّاعر والفروق بينها؛ فكان بإمكانه تحديد أحد دواوين الشاعر لتكون محل دراسته حتى يخرج بنتائج مهمة وملموسة تعين الباحثين فيما بعد وتفتح آفاقا أرحب لهم. ومع هذا فهذه الملاحظات لا تقلل من أهمية البحث وجدارته وأهميته في الدرس الأدبي المعاصر.

***

مصادر البحث:

د. حمد فهد جنبان القحطاني:

أ. الكتب:

١. صورة الطفل في الشعر السعودي المعاصر: الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢. المديح في الشعر السعودي المعاصر "دراسة موضوعية وفنية": الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

ب. البحوث:

١. البعد القومي في شعر مأمون فريز جرار: القاهرة، جامعة عين شمس، حوليات كلية الآداب، المجلد ٤٣، جزء(أ)، أبريل – يونية ٢٠١٥م.

٢. دراسة أسلوبية في شعر أبي محجن الثقفي: عَمَّان بحث منشور بمؤتمر النقد الدولي الخامس عشر من ٢٨-٣٠ يوليو ٢٠١٥م، بعنوان: "االتراث للغوي والأدبي والنقدي العربي في الآداب العالمية"، إعداد وتحرير: رسلان بني ياسين ود. موسى ريابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦م.

٣. المكان في شعر زاهر الألمعي "دراسة في جماليات المكان، وإبداع الدلالة": القاهرة، جامعة المنوفية، مجلة كلية الآداب، عدد يوليو، ٢٠١٤م.

٤. المها في حومل عند الشعراء: جدة، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مجلة جذور "مجلة فصلية علمية محكمة"، العدد ٤٣، رجب ١٤٣٧هـ -إبريل ٢٠١٦م.